# التحرير والتنوير

واشتملت هذه السورة على الابتداء بتحميد ا تعالى وإنشاء الثناء عليه ووصفه بصفات الإلهية والوحدانية فيها .

وأدمج في ذلك التنويه بالقرآن وجلال منزله وما فيه من الهدى وتعريض بالامتنان على الناس بهديه وإرشاده إلى اتقاء المهالك والتنويه بشأن النبي A .

وأقيمت هذه السورة على ثلاث دعائم : الأولى : إثبات القرآن منزل من عند ا والتنويه بالرسول المنزل عليه A ودلائل صدقه ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا وأنه على طريقة غيره من الرسل ومن ذلك تلقى قومه دعوته بالتكذيب .

الدعامة الثانية : إثبات البعث والجزاء والإنذار بالجزاء في الآخرة والتبشير بالثواب فيها للصالحين وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذ وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول وعلى إشراكهم واتباع أئمة كفرهم .

الدعامة الثالثة : الاستدلال على وحدانية ا وتفرده بالخلق وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك وإبطال إلهية الأصنام وإبطال ما زعموه من بنوة الملائكة  تعالى .

وافتتحت في آيات كل دعامة من هذه الثلاث بجملة ( تبارك الذي ) الخ .

قال الطيبي : مدار هذه السورة على كونه A مبعوثا إلى الناس كافة ينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم ولهذا جعل براعة استهلالها ( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ) وذكر بدائع من صنعه تعالى جميعا بين الاستدلال والتذكير .

وأعقب ذلك بتثبيت الرسول A على دعوته ومقاومته الكافرين .

وضرب الأمثال للحالين ببعثة الرسل السابقين وما لقوا من أقوامهم مثل قوم موسى وقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط .

والتوكل على ا والثناء على المؤمنين به ومدح خصالهم ومزايا أخلاقهم والإشارة إلى عذاب قريب يحل بالمكذبين .

( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا [ 1 ] ) .

افتتاح بديع لندرة أمثاله في كلام بلغاء العرب لأن غالب فواتحهم أن تكون بالأسماء مجردة أو مقترنة بحرف غير منفصل مثل قول طرفة : .

" لخولة أطلال ببرقة ثهمد أو بأفعال المضارعة ونحوها كقول امرئ القيس ( قفا نبك ) البيت أو بحروف التأكيد أو الاستفهام أو التنبيه مثل ( إن ) و ( قد ) والهمزة و ( هل ) . ومن قبيل هذا الافتتاح قول الحارث بن حلزة .

" آذنتنا ببينها أسماء وقوله النابغة : كتمتك ليلا بالجمومين ساهرا وهمين هما مستكنا وظاهرا E A وبهذه الندرة يكون في طالع هذه السورة براعة المطلع لأن الندرة من العزة والعزة من محاسن الألفاظ وضدها الابتذال .

وتبارك : تعاظم خيره وتوفر والمراد بخيره كمالاته وتنزهاته . وتقدم في قوله تعالى ( تبارك ا رب العالمين ) في سورة الأعراف .

والبركة : الخير وتقدم عند قوله تعالى ( اهبط بسلام منا وبركات عليك ) في سورة هود وعند قوله ( تحية من عند ا مباركة طيبة ) في سورة النور .

وظاهر قوله ( تبارك الذي نزل الفرقان ) أنه إخبار عن عظمة ا وتوفر كمالاته فيكون المقصود به التعليم والإيقاظ ويجوز مع ذلك أن يكون كناية عن إنشاء ثناء على ا تعالى أنشأ ا به ثناء على نفسه كقوله ( سبحان الذي أسرى بعبده ) على طريقة الكلام العربي في إنشاء التعجب من صفات المتكلم في مقام الفخر والعظمة أو إظهار غرائب صدرت كقول امرئ القيس : .

ويوم عقرت للعذارى مطيتي ... فيما عجبا من كورها المتحمل وإنما يتعجب من إقدامه على أن جعل كور المطية يحمله هو بعد عقرها . ومنه قول الفند الزماني : .

أيا طعنة ما شيخ ... كبير بفن بالي .

" يريد طعنة طعنها قرنه . والذي نزل الفرقان هو ا تعالى . وإذ قد كانت الصلة من خصائص ا تعالى كان الفعل كالمسند إلى ضمير المتكلم فكأنه قيل : تباركت .

والموصول يومئ إلى علة ما قبله فهو كناية عن تعظيم شأن الفرقان وبركته على الناس من قوله ( ليكون للعالمين نذيرا ) . فتلك منة عظيمة توجب الثناء على ا . وهو أيضا كناية عن تعظيم شأن الرسول E